الرماديون في الطريق

سيد أحمد أمين

دار تراث للنشر الإلكتروني

تصميم غلاف | عبير رزق
Book cover by Abeer Rezk
Abeer Rezk

الرماديون في الطريق

سيد أحمد أمين

اسم الكتاب/ الرماديون في الطريق

اسم المؤلف/ سيد أحمد أمين

سنة النشر/٢٠٢٤

مصممة الغلاف/ عبير رزق

تنسيق/ أميرة محمود

الجهة الناشرة/ دار تُراث للنشر الإلكتروني

مدير عام الدار/ المهندسة أميرة محمود فتحي

رئيس مجلس إدارة الدار/ عبد الرحمن محمد

دار تُراث للنشر الإلكتروني

Website/https://torathbookstore.blogspot.com/

تُراث للنشر الإلكتروني

رقم الهاتف: ٠١١٥٥١٠٨٣٠١

٠١٠٩٩٦٠٧٣٢٠

فيسبوك: https://www.facebook.com/دار-تُراث-للنشر-الإلكتروني-١٦٧٠٠٩٤٧٨٩٩٧١٤٦٦/

الموقع https://torathbookstore.blogspot.com/

كل الحقوق محفوظة للكاتب وغير مصرح بتداوله بدون إذن خطي

إهداء:

أهدي هذه الرواية لأبي وأمي وزوجتي ولكل محب للقراءة والخير، ولكل من يمتلك القلب النقي.

[الفصل الأول]

يقص "ريتشارد فيليب" ذلكم الرحالة المخضرم الذي طاف الأرض من مشرقها لمغربها بسفينته العملاقة "بيرنا"، فقال:

لقد أبحرت بسفينتي في كل المحيطات والبحار والأنهار، وكانت حياتي البحرية مفعمة بالغرائب والمشاهد، ولكن الذي شاهدته في هذه الرحلة لم أشاهده من قبل ،فلقد طوفت بسفينتي في عباب الموج المتلاطم في كل الدنيا ،وشرقت وغربت ورأيت المدن والعوالم المختلفة، وورد علي ما يحتاج لألف كتاب حتى أخلد فيه كل ما رأيت من عجب ومشاهد تخلع القلوب وتنزع الأبصار ،ولكن كل هذا لا يساوى أي شيء مما رأيت ،فقد شاهدت من قبل في البحار والمحيطات الكثير، فالبحار بها ما لا تراه على اليابسة، فنحن نتعرض للغرق أحياناً، وللمتعة أخرى، وللأعاصير مرات ولهدأة البحر وانسيابه مرات ولا سيما في فصل الصيف حيث الهواء البارد الرطب في ظل الشمس الساطعة ،والتي تلقي بلهيبها على عاتقنا، فينساب برد البحر على رؤوسنا المتوهجة بحرارة الشمس فتنعشها ،فكم يتمنى الكثير أن لو ركب البحر في الهجير وفي فصل الصيف، أما في الخريف والشتاء ،فلا أمان للبحر في تلك الفصول ،فكم من مرفأ للبحر نزلنا في ضيافته إلى حين هدوء البحر،

وكم من أيام قضيناها في عواصم لبلاد شتى ،فرأينا العالم كله في رحلاتنا حول العالم، فقد التقينا بالأبيض والأسود والعرب والعجم وكل الطوائف و الأعراق ،ولكن هذه المرة لم تكن كأسلافها، ففي تلك الرحلة كنت أنوي أن أجعلها رحلة للتمتع وليست للعمل والصيد ونقل البضائع لآسيا أو أوروبا أو أفريقيا، فقررت أنا وصديقي "شليدر بوب" أن نذهب إلى القطب الشمالي، فقد خمرت في عقولنا فكرة أن نذهب إلى هناك مرة من المرات، فكم أجلنا ذلك لأعوام ولمرات كثيرة، ولكن الآن حان أن نبحر إلى هناك، ففي ربيع سنة ١٩٩٩ ميلادية قررنا وعزمنا على الإبحار إلى هناك، فقال لي صديقي "شليدر بوب" :

يا صديقي وقبطاني العظيم ،هل سنبحر فجر غد إلى هناك؟

فقلت له وأنا شوقي لذلك يقتلني:

نعم؛ سنبحر يا صديقي إلى هناك ،ولكني أرجو من الله أن لا يعوقنا ذلك الإعصار الذي يوقفنا ويعترضنا كل مرة نود الإبحار فيها ،فقال لي:

إن شاء الله لن يحدث أي شيء وسنبحر في الصباح الباكر إن شاء الله، فقلت له:

إن شاء الله!

فأتى الليل وأنا أعد أنا وصديقي "شليندر" السفينة للرحلة التي نشتاق إليها، وذهبنا لنخلد للنوم ،فقضيت معظم الليل مع زوجتي وأولادي أداعبهم وأمزح معهم كالعادة ،فأنا كل رحلة أودع أهلي بملاطفتهم والحديث معهم ،وبينما أنا على فراشي أنا وزوجتي وأنا أتحدث معها قالت لي:

ولماذا يا "ريتشارد" تصمم وتصر على هذه الرحلة منذ سنوات؟

فقلت لها ورأسها على ذراعي وأنظر في عينيها الجميلتين:

إنها رحلة العمر ،أو كما يقال؛ رحلة الخلود، فقالت في تعجب:

كيف تكون رحلة الخلود؟

فقلت لها:

إنه المكان الذي شدني منذ زمن، وسمعت عنه من الكثيرين ما جعل نفسي تتوق لما في هذا المكان ،فقالت وقد أخذت تداعب شعيراتي الخفيفة:

حدثني عما سمعته عن هذا المكان ،فقلت لها وأنا أودع ذلك الوجه الباسم الجميل وتلك الملامح الجذابة:

لقد سمعت وقرأت يا زوجتي الغالية من رحالة عربي يُعرف بإبن" فضلان" ،فهذا الرحالة قد ذهب إلى نفس المكان الذي نود الذهاب إليه، فقد قال:

أنه التقى بعمالقة وبعض المخلوقات الغريبة، فمنهم من ينام على أذنه ويفترش الأخرى، ومنهم الطويل الفارع الطول ومن يبلغ طوله ستة أمتار وأكثر ،ومنهم الأقزام الذي لا يزيد طولهم على النصف متر، وقال:

لقد رأيت جثث جيش كامل وقد مات وتعفن، فسأل عن ذلك فقيل له:

إن هؤلاء القوم لا ستر لهم دون الشمس، فهم يختبؤون في المياه حتى تغيب الشمس لأنها تقتل من تطلع عليه ،فلقد طلعت على هذا الجيش فأهلكتهم جميعاً ،فقال:

فأسرعنا واختبائنا حتى لا نهلك مثلهم ،وقد رأى العجب في بلادهم كما حكى وقص لنا عن بلاد غناءة ومفعمة بالنخيل والشجر اليافع ومكان يسمى "عدن" يشبه الجنة في شكلها، وقد تحدث عن هذا المكان الكثيرين مثل العميد الأمريكي "ريتشارد بيرد" عندما صرح بوجود كائنات غريبة في جوف الأرض ،وقال لقد التقينا بهم وصافحناهم وتبادلنا معهم الحوار والمنافع المشتركة ،فلقد تعلمنا منهم الألياف الضوئية ،وكذلك صناعة المفاعلات

النووية، ولقد ذهبت معهم إلى عالمهم وركبت معهم طائرات وبعض السفن الغريبة السريعة ،وقد غضبوا لما صدر منا في ضرب اليابان "هيروشيما ونيكازاكي" ،وقالوا لي:

إن تلك الأسلحة سوف تدمر الأخضر واليابس وسوف تلحق بنا وبكم الدمار الشامل كما فعلنا نحن ببعض ،فقال له:

"ريتشارد بيرد" :

وهل حدث عندكم ما حدث هنا؟

فقال له:

لقد كانت عندنا حضارات بها التقدم والعلم وأحدث مما أنتم فيه ،فلقد كنا في قديم الأزل نركب الطائرات ونمتلك الغواصات ولدينا أجهزة الاتصالات المختلفة وما في الأهرامات من رسومات يدل على ذلك، ففي نقوش داخل الأهرامات بها ذلك من طائرات وصواريخ وغواصات ومكوك فضاء، وإنارة كهربائية، ولكننا بحروبنا مع بعض فقدنا كل ذلك ،وها نحن نسترجع ما فقدناه وأنتم تبعثروا وتحرقوا ما تعبنا فيه ،وقال "ريتشارد" بيرد" :

لقد حفرنا منطقة " دولسي" وما تسمى بالمنطقة " ٥١" فرأينا بعد الحفر ثمة نفق عميق ومجهز بالأسفل وبه طريق في العمق ،فلما هوينا إلى الداخل ونزلنا إلى عالم مختلف به الكائنات الغريبة وما يسموا بالرماديين ،وقد تم بيننا التواصل والاتفاق السلمي وبعد لقاءنا خرجوا معنا إلى أعلى ولم تكن بالمرة الأخيرة ،فقد جعلنا هذه المنطقة من المناطق المحظورة على أي أحد ليس من العسكريين، ومن يقترب بمجرد حساسات للعرق الآدمي يضرب بالنار على الفور ،ويقول "ريتشارد بيرد" لقد أصابني ثمة مرض من لقائي بهؤلاء وسوف يقتلني كما أصاب رفيقي المهندس "فليب شنايدر"، فقد تعرض لمواجهة مع تلك الكائنات وكان معه نحو ستون مساعد ومقاتل، فلما فوجئوا بهم تبادلوا إطلاق النار، ولكن الرصاص لم يقتل تلك الكائنات، فبادروهم بإطلاق شيء يقتل ولكنه يختلف عن أسلحتنا، فمات أغلب المقاتلين وبقي المهندس "فليب شنايدر" وثلاثة معه، ولكنهم تلقوا هذا الشيء في صدورهم، وكان مثل شرخ في الصدر كبير الحجم، فظل هذا الشرخ في صدر" فليب شنايدر " بعد اعترافه بما شاهد في محاضراته وقص كل التفاصيل ،ولكن هذه الضربة أصابته بسرطان في هذا الموضوع، وقدر له أن يموت باغتياله من قبل المخابرات الامريكية على تسريبه تلك المعلومات، ولم يمت بالسرطان ،وهناك

العديد من الأخبار عن ذلك يا عزيزتي، فهيا دعينا ننام لأني اشتقت إلى تلك الرحلة الشيقة ،فقالت الزوجة في وجل وخوف:

وهل بعد كل ذلك ستذهب إلى هناك؟

فقلت لها:

وما المشكلة يا عزيزتي؟

فقالت وهي تنظر بعينيها الخائفتين:

إني يا حبيبي بعد الذي سمعته لا أظن أنك ستعود إلينا مرة أخرى ،فقلت لها:

اطمئني ولا تخافي يا حبيبتي، وأخذت أسكن خوفها ثم خلدنا إلى النوم.

[الفصل الثاني:]

أتى الصباح وجاء فجر يوم جديد ليذهب بنا لعالم نود رؤيته عن كثب، فودعت زوجتي وأولادي وذهبت مع مساعدي وصديقي "شليدر بوب" إلى سفينتا ،وبعد أن أدرنا محرك السفينة ببرهة شققنا عباب البحر لنعترك تلاطم الموج في حماسة وشغف لاجتياز تلك الرحلة بنجاح وشغف ،وفي الطريق نحو سواحل "جرينلاند"، فنحن قدمنا من كندا ثم ها نحن نقترب من القطب الشمالي، فوجدنا بعض السفن الصغيرة التابعة لأمن جرينلاند قد اجتمعوا على انتشال "يخت" كبير لرجل ثري ،وقد أوشك على الغرق في ساحل جرينلاند، فاستوقفونا لبرهة من الوقت للتفتيش ،فسألنا أحد الأمن:

أين وجهتكم؟

فقلت له:

إننا نتوجه ناحية القطب الشمالي، فقال لنا:

وفيما ذهابكم؟

فقلت له:

رحلة صيد، فنظر في تعجب وقال:

هيا؟ اذهبا في سلامة الله ،فقلت له:

نستطيع مساعدتكم، فإنا على دراية كبيرة بذلك، فقال لنا:

هيا قوموا بذلك لو أردتم ،فنزلنا وقمنا بمساعدتهم حتى انتشلوا " اليخت" قبل غرقه ،فشكرنا صاحب اليخت و هؤلاء الذين استوقفونا ،ثم رحلنا إلى حيث نريد.

ثم مضينا نشق عباب الماء في سرعة، فقال لي صديقي "شليدر" :

عليك بتركيب الإسطرلاب بدلاً من البوصلة ،ففي القطب الشمالي لا تعمل البوصلة، فقلت له:

أعرف ذلك، فقد قرأت عن رحلات لرحالة كثر، وقد قصوا رحلتهم إلى هناك، وأن البوصلة تأتي هناك ولا تعمل.

فبحرنا نحو القطب الشمالي قرابة ثلاثة أيام، وقد اخترنا الوقت الذي لا تعترضنا فيه الأعاصير ولا الرياح ،ولكن رغم ذلك فقد هبت عاصفة قوية جاءت من الشمال ،فقد كانت قوية للغاية حيث أن قوتها عصفت بنا، فجعلت السفينة تموج موجاً حتى كدنا نغرق، ولم نتحكم في مدار السفينة التي استدارت بقوة نحو اتجاه غير معروف وبدأنا نتجه نحو جزيرة مجهولة لم نراها

من قبل ،وفقدنا الاتجاهات مع أننا وضعنا "البوصلة" "والإسطرلاب" معاً، ولم تستقر السفينة أمام العاصفة القوية والغريبة هذه ،فقد ازدادت وقامت الأمواج بمليء السفينة بالماء ونحن نحاول السيطرة عليها ولكن العاصفة أقوى ،ولم يستمر الأمر أكثر من دقائق حتى أوشكت السفينة على الغرق، فقفزنا في البحر وبيننا وبين الجزيرة بضع أمتار، فسبحنا نحو الجزيرة والموج يواجهنا وما زلنا نسبح بقوة ومقاومة حتى وصلنا الجزيرة، فلما وصلنا إلى شاطئها استلقينا على ظهورنا من التعب ،ثم نظرنا إلى البحر فلم نجد السفينة ،فقد غرقت واختفت ،فقال لي صديقي " شليدر" :

وما العمل الآن، فقد أصبحنا لا نملك سفينة ولا أي وسيلة للسفر والإبحار؟

فقلت له:

لا ندري، ولكن قبل ذلك دعنا نبحث في هذه الجزيرة عن مصدر حياة إلى أن نجد وسيلة إبحار أخرى ،فأخذنا نتجول في الجزيرة بحثاً عن طعام أو شراب فوقفنا بجانب مرفأ الجزيرة حتى نعدل من وضعنا وكانت غريبة التضاريس ومتشعبة الأشجار، فبها بعض الأشجار الملتفة الكبيرة الحجم ،وبها تلك الأشجار الغريبة على شكل مخيف وليس بها أي ثمار أو أزهار، ولا نرى ما

خلف الأشجار من كثافتها وطولها، فانتابنا القلق والخوف من منظر تلك الجزيرة الغريبة، فقال لي صديقي "شليدر" والقلق بدا عليه:

يا صديقي ريتشارد ما هذه الجزيرة؟

لقد ذهبنا وأبحرنا إلى كل مكان في العالم، فلم نرى ولم نعلم عن هذه الجزيرة شيئاً، فقلت له وأنا الخوف يقتلني، ولكنني أخفي ذلك حتى لا يخاف صديقي "شليدر" :

لا يا شليدر ،إنها إحدى الجزر التي لم نراها من قبل ،فلا تتعجب، فهل نحن زرنا كل مكان في العالم؟

فقال لي:

لا؛ ولكن هذه الجزيرة مخيفة وغريبة الأطوار، فقلت له:

لا تخف وهيا ابحث لنا عن طعام وأنا سوف أدخل هذه الجزيرة لأرى ما بها، ففزع على الفور وقام ثم قال:

لا؛ لا تدعني بمفردي وخذني معك، فقلت له:

وماذا تفعل مع كائنات جوف الأرض إذا التقينا معهم، وأنت الآن تخشى من شجيرات وجزيرة؟

،فقال لي والرعب يقتله:

لا؛ أنا لست أخشى أي شيء ،وستعرف ذلك ،فقلت له:

ستأتي معي، أم نبحث عن طعام أولاً ثم نذهب بعد ذلك؟

فقال لي:

نبحث عن طعام ثم نذهب معاً أيضاً، فقلت له:

هيا نبحث عن طعام حتى نستكشف المكان قبل حلول الظلام وبينما نحن نمشي وننظر بين الأشجار إذا بأصوات كفحيح الأفاعي، وأصوات تصرخ مثل امرأة تضع جنينها، فراعنا ذلك، ولكني قلت لصديقي" شليدر":

لا تخف من أي شيء ،فنحن سنرى أكثر وأخوف من ذلك ،فقال لي وهو قد اطمأن قلبه بعض الشيء:

لا تقلق أيها القبطان ويا صديقي "ريتشارد".

الجزيرة خالية من أي ثمار أو حبوب طعام أو مصدر ماء عزب ،والطقس هنا شبه بارد ونحن لا نملك الملبس الكافي ،فنحن شبه عرايا من بعد غرق السفينة، فأخذنا نبحث في الجزيرة ،ولكنها لا تحوي على أي شيء سوى أشجار لا فائدة منها، ولم نجد أي طعام مثل حيوان أو طير أو غير ذلك، ولا سيما وأن ما كان معنا من طعام وشراب قد غرق مع السفينة.

أتى الليل والطقس قد اشتدت برودته، فبحثنا عن مكان دافئ ولا يحتوى على حشرات وزواحف ،فوجدنا أحد الكهوف في مرتفع أعلى الغابة، فدخلنا به، فإذا هو خالٍ وفي مأمن من الزواحف والحشرات ،فجئنا بورق الشجر وفروعه وافترشنا أرض الكهف ونمنا ،وفي الصباح تملكنا الظمأ والجوع، فأخذنا نبحث عن مصدر لذلك، فلم نجد إلا بعض "الجرذان" "والقنفد" فلم نشتهي ذلك رغم ما ألم بنا من جوع وظمأ، لكن بعد ساعات لم نستطع التحمل، فوجدنا شجرة كبيرة لها شبه خزان للماء ،فأتينا بزجاجة كانت على الشاطئ فوضعنا بها الماء، ومن ثم أتينا بالجرذان والقنافد لنأكلها ولكننا نريد جذوة من نار ،فحاولنا إشعال نار ،فلم ننجح في ذلك ،فألقينا بتلك الأشياء وشربنا الماء وبعد ساعات من البحث في الجزيرة وجدنا نبات "جوز الهند"، فقطعنا منها وشربنا ما بها من سائل ولكننا لم نشبع ،وبعد عناء أتى الليل وقد

أرهقنا الجوع، فنمنا، وكانت تلك الليلة ثاني ليلة بدون طعام، ثم أتى اليوم الثالث، فقال لي "صديقي " شليدر" :

لابد من إشعال النار حتى نأتي بأي شيء ونقوم بشوائه وطهيه، فقلت له وأنا لا أستطيع الكلام:

لابد يا صديقي أن نفعل ذلك ،فأتيت بقطعتين من الحديد الملقى على الشاطئ وأخذت في ضربهما ببعض عدة مرات حتى ولدتا شرارة فأوقدنا بعض الوريقات ومن ثم أوقدنا جذوة من النار حتى جعلناها شعلة كبيرة، فذهبنا نبحث عن صيد فلم نصطاد سوى تلك الجرذان والقنفد، فقمنا بشوائها وأكلها رغم نتن طعمها وريحها ،ولكنها الضرورة، فماذا نفعل غير ذلك وإلا سنموت جوعاً.

مرت الأيام ونحن نتغذى على تلك الأشياء ،فمرة نأكلها ولا نتأثر بها ومرة ينتابنا بعض التعب المعوي فنتقيأ ونتألم حتى اكتشفنا بعض الأرانب في جحر ما ،فقمنا بعمل شبكة لصيدها ،واصطدنا الكثير من تلك الأرانب ،وقمنا بشوائها وطعمنا منها وشربنا من الشجرة ،ولكن الشجرة أوشكت على نفاد ما بها من ماء ،فماذا نفعل؟

بحثنا عن مصدر للماء ،فلم نجد سوى نبات جوز الهند، فكنا نقوم بكسرة بأداة حديدية قد وجدناها ،ولكننا كنا نتطلع لرؤية سفينة ما أو أي شيء يخلصنا من هذا المكان، فلم نجد لأكثر من عشرة أيام ؛ فقلت لصديقي " شليدر" :

هيا نصعد إلى ذلك الجبل فلعنا نجد أي طريق لأي بلد أو مكان به وسيلة مواصلات ،فذهبنا وتسلقنا الجبل الذي لا يرتفع عن المئة متر من الأرض ، وبعد صعودنا وجدنا غابة كثيفة بها آلاف الأشجار المتعانقة والمخيفة، فنظر إلى "صديقي " شليدر" ،وقال :

ماذا نفعل الآن يا صديقي؟

فقلت له:

سننزل ونتوغل لنهاية تلك الغابة، فنزلنا وسرنا في الغابة لبضع ساعات فلم نرى نهاية لها، فلما يئسنا وقد دخل الليل علينا قلت "لصديقي " شليدر" :

هيا نبحث عن مكان ننام فيه قبل حلول الظلام، فبحثنا عن مكان فلم نجد أي مكان سوى بين الأشجار، أما عن طعامنا و شرابنا فقد أخذنا ما يكفينا من شواء الأرانب وجوز الهند لهذا البحث وفي الصباح واصلنا السير ولكننا لم

نسمع صوت طائرة ولم نرى أي إنسان أو حيوان فسألني "صديقي " شليدر":

ما هذا المكان الذي لا يوجد فيه أي حياة أو حركة نقل، فقلت له يا "صديقي " شليدر" يبدو أننا نقترب من الرماديين ،فإني أحس أن هذا المكان لا حياة فيه لآدمي ،فلا ماء عزب ولا نبات مما نأكله ولا حيوان بري مما نعتاد عليه أو حتى مفترس، فسرنا في الغابة ونحن نأمل في وجود طريق أو وسيلة مواصلات تنقلنا ،ولكننا فقدنا الطعام والشراب، ولم نجد أي ماء أو طعام هنا، فجلسنا مكاننا واستلقينا ننتظر الموت من الجوع والظمأ واليأس ولكننا أكملنا السير ،وبينما نحن نسير وحفيف الأشجار يزداد حدة ،وتلك الأصوات قد علت وكثرت وإذا بفتاتين عملاقتين قد أقبلتا علينا ،فقلت "لصديقي " شليدر" أترى ما أرى؟

فقال لي:

نعم؛ أرى، ولم نكمل كلامنا إلا وهما أمامنا ،فضحكا وقالت إحداهما للأخرى وهي تشير إلينا:

ما هذا الذي نراه؟

فقالت الأخرى للمتعجبة:

إنهما مخلوقات تشبهنا، ولكنهما مثل الأقزام، فقلت لصديقي:

إنهما يصفاننا بالأقزام، فقالت إحداهما:

من أين أنتما؟

فقلت لها:

نحن من "بريطانيا"، فتعجبتا وقالتا في صوت واحد:

وما تعني هذه الكلمة؟

وأين هي؟ أهي على كوكبنا؟

فرد عليها " شليدر" وقال لها:

ألا تعرفان "بريطانيا"؟

فقالتا:

لا ؛فقلت لها:

وأنتما في أي بلد تقطنون؟

فقالت إحداهما:

نقطن في "عدن"، فقلت لها:

وما "عدن"، وفي أي بلد هي؟ وفي أي قارة هي؟

فقالت:

نحن هنا وحدنا لا نعرف سوى هذا المكان ، فقلت لها:

فهل من الممكن أن نذهب معكما إلى هناك؟

فقالتا:

على الرحب والسعة، هيا معنا، فنظرت "لشليدر" وقلت له:

هيا معهما، فنظر إلي وقال:

هيا ،فهل سنموت عدة مرات، إنما هي موتة واحدة ،فانطلقنا معهما في مركبتهما الطائرة حتى هبطنا في طريق ممهد وبجوانبه أشجار الياسمين على ضفتيه وبعض أشجار الفل والورد المنثور على الجوانب، فتعجبت من هذا المنظر وقلت لهما:

أود أن أسأل عن الشجر المخيف قراب شاطئ البحر وعن تلك الأصوات التي تشبه فحيح الأفاعي وأصوات تشبه صوت المرأة وهي تضع حملها، فقالت إحداهما:

تلك الأشجار وهذه الأصوات تخرج من القاع حيث أهل النار ومن يعذبون في جهنم ،وتلك الأشجار تنبت من عفنهم ومن ريحهم ، وهذا هو الفرق بيننا، فستريان مدينتنا وما نحن فيه، والفرق بين هذه الجزيرة وبيننا، فسرنا في الطريق قرابة ربع ساعة ثم وجدنا الأشجار تلاشت وصارت السماء كأنها فوقنا بعشرة أميال، ولكنها مزينة بكواكب فضية وأخرى زرقاء في زينة تشد القلوب لها ،وبها آلاف النجوم اللامعة والتي تلفت الأنظار وتشد العيون، ورأينا مراكب مثل الأطباق طائرة وتنزل وتصعد ومثلها عشرات الطائرات، ورأينا الأرض من حولنا كأنها قطعة خضراء مزينة بالذهب في كل مكان، ولما سرنا لم نرى أي تراب أو حصباء أو رمال أو صخور سوى تلك الصخور الذهبية التي وضعت على هيئة قطع فنية، فهالني ذلك، ولا سيما عندما وجدت الطيور المختلفة والتي لم أرى مثلها من قبل، فلقد رأيت بعض الطيور الضخمة التي يزينها الريش المتعدد الألوان ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأسود كأنها صممت لتمتع الناظر لها، وما أعجبنا أيضاً وجود نساء حسناوات

كالدرر والقمر في حسنهن ،فهم كاللؤلؤ المكنون ،فطولهن ووجوههن وملامحهن لا نظير لها في البشر، ولم نرى مثلهن على الأرض، أما الرجال، فقل ما شئت عن كمال أجسادهم وقوتهم وجمالهم، فهم خضر العيون شديد بياض الوجوه، وشعرهم كسلاسل الذهب، أما النساء فلا وصف لهن، فهن أبهى ما رأيت، وأنقى صوت سمعت، فلما رأيت ذلك الجمال والألق قلت لهاتان الفتاتان:

ومن أنتما؟

فقالتا نحن خدام هؤلاء في هذه المدينة العامرة "عدن"، فنظر إلي " شليدر" وقال لي:

سنظل هنا يا صديقي ولن نعود ،فما أبهى ولا أروع من ذلك ، فقلت له:

أنا أتمنى ذلك ،ولكن دعنا نرى هذا المكان ومن يحكمه، ومن فيه وماذا يفعلون؟

[الفصل الثالث]

فانطلقنا مع هاتين الفتاتين نحو قصر مشيد وكبير بحجم ولاية مثل "تكساس الامريكية"، فكان القصر قد شيد من زجاج لم أرى مثله من قبل، فهو يرى ظاهره من باطنه ،وباطنه من ظاهره ،وحوله آلاف الجواهر العملاقة واللآلئ الكبيرة الذهبية والفضية منها ،وأما ارتفاعه فلا سقف له ،فعيني لم تقدر أن ترى آخر سقفه ،فلما اقتربنا منه بدأت الأرض كأنها الموج في البحر ولكن دون ماء، ورائحة الياسمين تفوح من كل جانب، فلما اقتربنا من باب القصر ،فإذا هو لؤلؤة مجوفة تختطف الأبصار وعليه وبه مئات الألوان التي تبهر الناظر ،فلما اقتربنا أكثر فتح الباب ولما فتح كادت عيني أن تعمى من فرط الجمال والبهاء الذي بدا لنا داخل القصر، فقد رأيت سماء مختلفة والأرض لا تشبها أي أرض ،وفضاء القصر من الداخل كأنه ثمة عالم افتراضي كثير الألوان؛ متعدد الأطياف؛ متنوع الشجيرات ؛وقطرات الندى تنزل من سمائه دون أن تمس الوجوه في قطرات مثل اللؤلؤ والياقوت، ورأينا ما أعجب من ذلك ،فقد رأينا أربع أنهار تجري من أسفل المكان، ولكن من في المكان يسيرون على الأنهار دون غرق أو بللٍ ،ومنظر الأنهار ليس كأنهارنا وليس لون الماء كما عندنا ،ففي هذا المكان الأنهار لها عشرات الألوان والأنهار تنساب من أعلى

وتصعد من أسفل في شكل انسيابي حلزوني لم ولن نرى مثله ،فبينما نحن نسير أتوا لنا بمركبة تطير عجيبة، وهي أشبه بالخيال، لأنها لا مثيل لها ،فقالت إحدى الفتيات لنا:

هيا اركبا فالطريق إلى الملك بعيد بعض الشيء، فركبنا المركبة في صحبة ثلاثة رجال دون هاتين الفتاتين، فالمركبة من الداخل كأنك تسبح في بحر بين اللآلئ والزمرد والياقوت، فالمقاعد مصنوعة من مادة عجيبة ،فلا هي من الجلود او الخشب أو الحديد أو أي معدن أو مادة نعلمها ،ولكنك إذا جلست عليها فكأنك تغوص في شيء لا يوصف، فلو جلست عليها ألف عام لن تمل منها ولن تتأذى من الجلوس عليها لروعتها ولين معدنها وراحة متكئها، أما سير المركبة، فكأنها فراشة تطير ببراعة، فمن يطير بها لا يحس بهزات أو اضطرابات تنغص عليك رحلتك ولو كانت طويلة ،وبعد مرور ثلاثة دقائق وصلنا إلى رجل أكبر حجماً مما رأينا وينظر إلينا وقد جلس على مقعد كبير يسمى بالعرش، وهذا العرش قد طرز بحبات الذهب واللؤلؤ من كل مكان ويجلس عليه هذا الملك جلسة رجل ملك كل شيء ،فلما اقتربنا منه بنحو ثلاثة أمتار رأيناه وقد ابتسم ابتسامة عريضة لا خبث بها، فقال لمن صحبونا:

دعوهم وانصرفوا، فلما انصرفوا، قال:

هيا اقتربا لأصافحكما، فتقدمنا منه وبدأت أولاً بمصافحته فرأيت قبضة يده كأنها ورقة من شجرة كبيرة وثخينة، فكانت يدي تغوص في يده من كبر حجم يده، فقال لنا:

هيا اجلسا، فجلسنا على أريكة لا شبيه لها ولا نظير لما هي عليه من رونق وجمال وحسن ،فنظر إلينا هذا الملك نظرة حانية وقال:

فيما مجيئكما إلى هنا؟

فقلت له:

لقد أتينا لنرى المخلوقات التي في جوف الأرض، أو ما يسمون " بالرماديين"، وكانت وجهتنا مختلفة عما حدث لنا، فإنا لم تقصد مكانكم هذا، ولكنها ثمة عاصفة ألقت بنا نحوكم، فرأينا عندكم ما لم نكن نحلم به يوماً من الأيام ،فقال لنا الملك:

أما عن هذا المكان الذي أنتما فيه، فهو يسمى "بعدن"، ونحن هنا لا ظلم لدينا، ولا قتل ولا سجن ولا مشقة ،فنحن نأكل ونشرب من خيرات هذا المكان، ولا نمرض كما تمرضون، ولا نموت ولا نيأس ولا نجوع أو نظمأ

،فنحن هنا في جنة من جنان الله في الأرض، أما عن كائنات جوف الأرض "الرماديون" فسوف نوصلكم لهم بعدما تذوقوا طعامنا و تشربون من ماءنا وخمرنا وتتمتعون بعيشنا لبعض الأيام ،فسررت لكلامه وسر صديقي " شليدر" ولم نجد في أنفسنا ما نسأله عنه ،فقد تكلم عن كل شيء وأخبرنا عما نخطط له، وقد يسر علينا رحلتنا بتعاونه معنا.

بعد جلوسنا مع الملك أمر من يأخذنا لغرفتنا ،فسرنا مع هذا الحارس نحو الغرفة، فإذا هي غرفة مثل قصورنا ،مرتفعة البناء؛ فريدة الألوان ؛أسفلها كأنه الموج الذي وضع فوق بعضه باختلاط في ألوانه ،أما الغرفة، فلم نرى مثلها في بناءها ولا هيكلها ،فهي مثل الخيال في تصميمها من الخارج ،أما داخلها فلا وصف له سوى أن تقول:

سبحان الله فيما خلق وصنع ،فما بها من سرائر وفرش يأخذ بمجامع الفؤاد ويخلع القلب ويمتع البصر ،فلا صعوبة في الصعود على السرائر، ولا مشقة في استخدام الأشياء ،فكل شيء هنا يعمل بحساسات وبسهولة دون ضغط أو مجهود ،فكل شيء يأتي بمجرد ضغط على زرٍ ما أو الإشارة إليه ،فما يوجد هنا لنصل إليه لا يتحقق إلا بعد آلاف الأعوام ،فهؤلاء الناس قد وصلوا لحضارة

لم نصل إليها إلى الآن، ولن نصل إلى ما هم عليه إلا بمرارة وآلاف السنوات، فمكثنا في الغرفة الكبيرة هذه نأكل ونشرب ونتلذذ بشتى الفواكه واللحوم والطعام الذي لم نرى مثله من قبل، فما ألذ ولا أشهى من طعامهم! ، وبعدما أكلنا وشربنا ونمنا بعض الوقت أتوا لنا بفتاتين من أجمل ما رأت عيني من جمال وبهاء، فعيونهما كعيون "المها" مع اختلاف اللون والشكل ،أما الجسم فأجمل ما يكون الجسم من جمال ،فقامت إحداهن بالضغط على زر ما، فانقسمت الغرفة لقسمين أنا في قسم مع فتاة، وصديقي " شليدر" مع فتاة أخرى في نصف الغرفة الآخر ،فاقتربت مني تلك الفتاة وقالت:

مرحباً بالرجل القصير والمثير ،فما أجمل حجمك!

وما أروع وجهك!

فقلت لها:

وأنت ما أروع وجهك أيتها اليافعة الرائعة، يا ذات الحسن والمحاسن الخلابة، ثم حملتني على سرير مرتفع لا مثيل له، وقامت بخلع ملابسها ،فكاد عقلي أن يطيش، وكدت أن أجن من فرط الجمال ،فلم أملك نفسي حينما اقتربت مني

أن أقبل كل جسدها وأرتمي بين مفاتنها وأتلذذ بكل شبر في جسدها ،فما أجمل من شفتيها و عينيها!

وما أروع من شعرها وجسدها كله، لقد ذبت في حبها وفتنت بها، فلو كانت الجنة ليس بها إلا مثل هذه لكفت، فأنا على استعداد أن أظل عمري كله بين ثدييها وفخذيها وأنظر لعينيها وأقبل على الدوام شفتيها، فما أجمل ولا أروع ولا أبهى من هؤلاء النساء هنا أو تلك المدينة الخيالية.

ظللت لمدة شهر أنا وصديقي في هذه المتعة وهذا الجمال حتى نسينا زوجاتنا وأولادنا، فلقد نسينا حتى أنفسنا، فما نحن فيه من نعيم لا يوصف بنعيم الدنيا كلها، فليلة واحدة مع فتاة من هؤلاء تعدل الدنيا وما بها.

لقد انتهى الشهر الذي قضيناه هنا بسرعة كالبرق، فلم نحس بالوقت هنا، فقد مر الشهر كأنه ساعة من ليل أو نهار ،فوالله لو بقينا هنا أبد الدهر ما شعرنا بحزن ولا تعب ولا أرق قط.

جاء أحد الحراس ليستدعينا للقاء الملك، فلما ذهبنا إليه قابلنا بابتسامته العريضة كما فعل من قبل وأمرنا بالجلوس، ثم قال لنا:

هل استمتعتم بضيافتنا لكم هنا؟

فقلنا له:

نعم المضيف، ونعم الضيافة يا سيدي، فقال لنا:

وماذا تطلبون مني بعد ذلك غير رؤيتكم هؤلاء "الرماديون"، فقلت له:

لا شيء يا سيدي سوى أن تسمح لنا بالزيارة مرة ثانية إلى مدينتكم الفاضلة، فابتسم وقال:

سندلكم على مكان الخروج والدخول لكي تتأتون إلينا كما تشاؤون، ولكن قبل ذلك أود معرفة منكم بعض الأشياء عن عالمكم، فقلت له:

بكل سرور يا سيدي، فنحن في عالم مكون من قارات أربعة وكل قارة بها ما يزيد عن الثلاثين دولة، وكل دولة تنقسم لولايات ومقاطعات ومناطق ومنازل، وفي كل قارة البحار والأنهار والمحيطات، ولكن عالمنا غير عالمكم ،فشمسنا حارة وليلنا مظلم، ونهارنا كئيب، والناس في عالمنا كالعقارب والتماسيح والثعالب، والنساء طبعهن مثل الليل البهيم يسرق الحالم ويخدع الباسم ،والملوك كموج البحر كل وقت في حال، فعالمنا لا أمان فيه ،ولا متعة تدوم له، سعادتنا فيه مقطوعة، وفرحتنا الدائمة ممنوعة، والمتعة الممدودة منزوعة ،نهارنا قطعة من ليل، وليلنا يحوي العذاب والآهات، لا بقاء للقوة

عندنا ،فمن قوي في زمن ضعف باقي الأزمان، ومن اغتر بماله وما عنده ذل ولغيره دان، عالمنا عالم الأموات ،وعيش النزوات ،وحياة الأفاعي والحيات، فلا هناء لذي لب في عالمنا ،ولا سعادة لذي فهم في دنيانا ،فتعس من طمع في عيشنا ،ومات من ظن النعيم لدينا، فقال الملك وقد ذهبت ابتسامته، واختفت بهجته:

كفي يا بني، لا تكمل واذهب وتعالى إلينا في أي وقت شريطة أن تطهر قلبك دوماً من الحقد والحسد والبغض لغيرك، ونقي سريرتك تدخل مدينتنا متى شئت، فقمنا وصافحنا الملك، ثم أمر لنا بمركبة تقلنا إلى حيث نريد ،فودعناه وانصرفنا وحزنت على فراق المكان كما لو كان ملكي ،فما حزنت على مثله من قبل، وبعد دقائق ونحن نسير في سرعة كبيرة وصلنا إلى مخرج لمكان تلك الكائنات، فقال لنا من يرافقنا:

هيا اخرجا لتروا تلك الكائنات ونحن ننتظركم هنا في هذا المدخل حتى نصل بكم إلى مكان تخرجون منه إلى عالمكم، فخرجت أنا وصديقي في طريق أشبه بموجات هوائية حتى نزلنا عبر فوهة كبيرة ولها ثمة مصعد كالقطار، فدخلنا إليه على خوف، وقد نظر إلي صديقي " شليدر" :

إن هؤلاء يختلفون عما رأينا، فهؤلاء في القمة، وتلك المخلوقات في الحضيض ،فقلت له دعنا نرى ولا تستعجل، فسار بنا ذلك المصعد القطار إلى أسفل، وفي سرعة كبيرة وصلنا لأسفل، وما إن وصلنا حتى وجدنا عالم مختلف ولكنه يشبه عالمنا في خامة الأرض والجدران والحديد وكل شيء، إلا في حجم وشكل تلك الكائنات ،فقد استقبلنا الكثير منهم، وهم على شكلهم الرمادي وعيونهم المجوفة الكبيرة، ومنهم العملاق والقزم وطويل الآذان ،فرحبوا بنا ومضوا بنا نحو عالم كبير ممتد كما فوق الأرض ،فهم يتقدموننا بمراحل متفوقة في الصناعة و الأسلحة والمركبات ،فهم أصحاب الأطباق الطائرة الذين ظننا أنهم من الفضاء ،ولكنهم من جوف الأرض ،فلما أخذونا لمقر حاكمهم وكان يشبههم في كل شيء ولا يتخير عنهم في أي صفة أو ملامح ،فلما جلسنا أمامه قال لنا:

فيما مجيئكم لنا؟ لقد قطعنا معكم كل معاملتنا منذ أن استخدمتم ما علمناكم استخدام السوء والدمار، فما شأنكم؟

فقلت له:

يا سيدي؛ لا علاقة لنا بحرب أو أسلحة، بل إننا رحالة أو بحارة سمعنا عن شأنكم، فخضنا إليكم مشقة الطريق حتى أتينا إليكم لنتعرف على صفاتكم ونرى عظمتكم، فإني يا سيدي قد غامرنا بالوقت وبالجهد وكنا في طريقنا إليكم في خطر حتى أتيناكم، فقد سررنا أنا وصديقي بلقائكم، فهل مجيئنا ضايقكم في شيء يا سيدي؟

فقال لنا:

لا؛ فأنتما من قوم نحبهم وبيننا علاقات وثيقة ولم يحدث بين جنسنا وجنسكم أي خلافات أو قتال ،فهيا استمتعوا معنا باحتفالنا بيوم الوفاء، فذهبنا معاً لمكان أشبه بالفضاء في تضاريسه ،فالمكان به مثل الجبال في ارتفاعها وانخفاضها ،ولكنها تمتاز بألوان جميلة كأنها أضيئت بمصابيح قوية ومبهرة، فألوانها ما بين الأحمر الفاتح والأزرق القاني والأخضر وغير ذلك من الألوان، والمكان سمائه مظلمة لا ضياء لها ولا قمر ولا شمس لها ،وليس لديهم أي أنهار أو بحار أو ماء سوى بعض العيون التي لا يشربون منها ،وليس لديهم أي زروع أو شجر أو نبات، فهم لا غذاء لهم ولا نسل لهم ،فليس لديهم أي معدة أو جهاز هضمي ولا جهاز تناسلي ،فهم يتغذون على الطاقة السلبية

للبشر ويتناسلون بخطف أجنة البشر وهم في أرحام أمهاتهم، ويقومون باختطاف بعض الأطفال الصغار وتحويلهم لجنسهم، فهم يختلفون عن العالم العلوي الذي رأيناه ،فهؤلاء ابتكروا أسلحة الدمار الشامل منذ آلاف الأعوام، وعلموا ذلك للبشر ،فليس لديهم أدنى مقومات الخير، فهم عبدة الجن وخدامهم وخدام السحرة من البشر.

فكما أن في عوالم أخرى مثل هؤلاء ،فلدى البشر من أشر من هؤلاء ومن "يأجوج ومأجوج" ومن إبليس نفسه، فكم قتل البشر بعضهم البعض دون رحمة أو شفقة ،وكم قتلوا الأطفال والنساء والشيوخ وقطعوا وأحرقوا الزرع والشجر والحيوان، فلقد شهدت البشرية آلاف المعارك بين بعضهم البعض، وكم دمرت القرى والمدن لا لشيء إلا لطمع فيما أيدي الغير ،فلقد تعلم منا الشيطان المكر والدهاء والكذب والخداع حتى جلس في مكانه وبعث سراياه ليتعلموا من البشر ،فبعدما كان الشيطان هو من يكيد ويمكر ويوسوس صار لا عمل له، فجلس وجلس أحفاده ليراقبوا البشر عن بعد دون أن يتدخلوا فيهم ،فلقد ملئت قلوب البشر بالحقد والحسد والبغض والشقاق والنفاق وحب المعاصي والفواحش حتى صار البشر من المدافعين عن الباطل والغي والكفر عن جهل وبجدال أحمق وعقيم.

ذهبنا إلى ذلك الاحتفال، فكان أشبه بحفلات "مايكل جاكسون" في مجونه وصخبه ،فقضينا ليلة من أسوء الليالي ،فلم نشعر بسعادة ولا فرح ولا ما أحسسناه في العالم الذي كنا فيه ،وبعد ليلة قد طالت ودعنا هذا الحاكم وهؤلاء الكائنات وانصرفنا ،ولما خرجنا وذهبنا إلى الموضع الذي تركنا فيه من كانوا معنا من العالم الآخر ،فوجدناهم كما هم في انتظارنا، فصعدنا معهم ولم ننطق بكلمة لحزننا على ما وجدناه هناك في جوف الأرض وعلى تركنا لهؤلاء القوم الذين تمتعنا معهم لمدة شهر، وحاك في نفسي بعض الشعور بأن أظل هنا في هذا العالم العلوي وما به من نعيم ومتعة وجمال، فقلت لصديقي " شليدر":

ما رأيك أن نتحدث مع هذا الملك في البقاء معه هنا، فقال " شليدر":

وهل تراه يوافق على ذلك يا صديقي؟

فقلت له وما رأيك؟

فقال لي:

حدثه في ذلك، فقلت له:

سأفعل الآن، فقلت لمن معنا في المركبة:

أيها القائد نود أن نقابل الملك الآن، فهل هذا من الممكن أم لا؟

فقال لنا:

سأتصل به الآن، فمد يده وأضاءت ثم ظهر بها مثل أزرار الهاتف ،فضغط عليه ضغطة واحدة فرد عليه أحد حراس الملك، فقال له:

صلني بالملك، فرد الملك وقال له:

ماذا تريد أيها القائد؟

فقال له:

إن ضيوفنا من الأرض يريدون لقاءك أيها الملك، فقال:

على الرحب والسعة، فهيا أحضرهم إلي ،فلما ذهبنا إليه أجلسنا أمامه وقال لنا:

لقد ذهبتما إلى حيث كانت وجهتكم؟

فقلت له:

نعم؛ يا سيدي، لقد ذهبنا، ويا ليتنا ما ذهبنا، فقال الملك وهو يبتسم:

ولماذا، ما الذي أغضبكما، فقلت له:

يا سيدي، لقد وجدنا كائنات غريبة الأطوار، قبيحة الوجوه والأجسام، وليس لديهم ثمة خير قط، وعيشهم على غيرهم من البشر وسيل الدماء، وبعد ذهابنا من عندكم إلى عندهم، فكأننا خرجنا من جنة إلى نار، فقال الملك:

ولماذا عدتم؟

فقلت له:

حبنا لكم ولعيشكم يا سيدي، فقال الملك:

وماذا تريدون؟

فقلت له:

نريد جواركم والعيش في كنفكم، والتمتع في مدينتكم، فقال لي:

لنا منكم ثمة شرط واحد، فقلت له:

وما هو؟

فقال لي:

أن تأتي لي من هذا العالم بوثيقة فيها كل شيء عما يدبرونه، فهم يسعون للنيل من مدينتنا الفاضلة، فقلت له:

كيف ذلك؟

فقال لي:

هذا ما حدث، فهم كما أرادوا لكم وبكم الشر، فهم يريدون ذلك لنا، فقال له صديقي " شليدر" :

نحن سنجلب لكم ما تريدونه، ولكن عليكم أن تمدوننا بما يلزمنا من مفاتيح هذا المكان وكيف نصل إلى ذلك، فقال لنا:

سأستدعي أحد قادتي ليشرح لكم كل شيء وكيف تعثرون على ذلك، فقلت له:

وكيف لم تعثروا عليه رغم قوتكم؟

فقال لي:

إنهم وضعوا حساسات تعرف رائحة عرقنا وما ينتج عنا من حرارة، فمن اقترب منهم قتل هناك، فقلت له:

هيا استدعي هذا القائد ليشرح لنا ذلك، فضغط الملك على زر بجواره، فأتى ذلك القائد، فقال له:

لبيك يا سيدي؛ أنا طوع أمرك، فقال له الملك:

هيا اصطحب ضيوفنا واشرح لهم المهمة التي أوكلناك بها، فنظر إلينا وقال:

هيا يا رفاق، فاستأذنا الملك وقمنا معه، فذهبنا لغرفة مجاورة ذات طابع فريد وبها أجهزة حديثة وشاشات مراقبة لكل المدينة، وبها مركز تحكم لدفاعات المدينة، فرحب بنا هذا القائد وقال:

هيا انظروا إلى تلك الشاشة لتروا معي ما نريده، فظهرت لنا موضع الوثيقة المخبأة في جوف الأرض، فعرفنا منه المكان وكيفية الدخول إليه ،وبعدما أمدنا بما يلزمنا من أدوات للتصوير وللتجسس لنزرعها هناك.

[الفصل الرابع]

ذهبنا عبر منفذهم إلى هناك، ولما وصلنا إليهم تعجب حاكمهم وقال لنا:

لماذا عدتم ثانية؟ ماذا حدث؟

فقلنا له:

لقد ضللنا الطريق ولم نجد إلا طريقكم لنذهب إليه ،فقد بلغ بنا الجوع والظمأ مبلغه، فاقترب منا أحدهم بعدما أومأ إليه الحاكم بعينيه ،فقام بالنظر في عيوننا ووجه جهاز تحسس منا ،فنظر للحاكم وقال له:

كل شيء على ما يرام يا سيدي.

نظرت لصديقي بعدما فعلوا ذلك وكأني أقول له:

الحمد لله على أنهم لم يجدوا ما خبأناه معنا، فقد وضعنا تلك الأشياء في حذاءنا وقد أخذت تلك الأدوات نفس خامة الحذاء حتى لا تكتشف ،فقال الحاكم لأحد الجنود:

خذوهما وأحضروا لهما بعض الطعام والشراب الذي جلبناه من عالمهم.

لم أتعجب من ذلك، فلديهم بعض العبيد من بني الإنسان ومن عالمنا، وهم يقومون بإطعامهم وتلبية احتياجاتهم من شراب وكساء ودواء ،أما هم فلا يحتاجون لشيء من مثل هذا ،فذهبنا معهم وبعدما أكلنا وشربنا، أودعونا في غرفة جميلة تشبه غرف الملوك عندنا لنستريح فيها ،ولكننا لم نهدأ، فقمنا بعد ساعة من جلوسنا إلى الخارج ولما سألونا عن وجهتنا:

قلنا لهم:

نريد أن نتجول ونشاهد المدينة ونستمتع بما عندكم، فسمحوا لنا بذلك، فذهبنا نتجول في المكان حتى نكتشف مكان الوثيقة، فلما اقتربنا من المكان وجدنا عليه حراسة كبيرة ،فلم نستطع الدخول، فقلت لصديقي " شليدر" :

وما العمل؟

فقال لي:

لابد من حيلة للدخول إلى هنا، فلابد من أن يذهب هؤلاء الجنود من هنا بحجة ما ،فقلت له:

سوف نجعلهم يهرعون إثر حادث ما، فمعنا هذا الشيء الذي يحدث الانفجار الطفيف فيجعلهم يفرون ويختبؤون، فوقتها نأخذ ما نريد ،ولكن علينا أن نثبت ما معنا من أجهزة تنصت في غرفة التحكم، فقال لي:

ليس الآن، فهم يراقبوننا عن بعد بأجهزتهم الحديثة، فلا تشعرهم بشيء الآن، ودعنا نتجول كأننا في رحلة مشاهدة، فذهبنا إلى غرفتنا وتحسسنا المكان فوجدت الغرفة مليئة بالكاميرات الدقيقة وأجهزة التنصت الصغيرة الحجم ،فلم نتحدث في شيء إلا في أمور تافهة وغير مهمة حتى نلفت أنظارهم أننا لا نهتم بشيء من خصوصياتهم.

مرت الساعات ونحن نترقب أن تسنح لنا الفرصة لزرع ما معنا من أجهزة، ولكنهم في يقظة دائمة، فتكلمت مع القائد التابع للملك في العالم العلوي عما يحدث هنا، وأن المكان مراقب وليس من السهل اختراق النظام الأمني هنا، فقال لي:

ولكن ما عندنا من متعة وعيش طيب ورغيد يستحق ذلك ،فقلت له:

نعم يستحق، وسنبذل كل ما بوسعنا حتى نفعل ما كلفنا به.

ما زال من حولنا هنا يراقبوننا ويصحبوننا أينما حللنا ،ولكني وجدت فرصة سانحة في مكان بالقرب من غرفة التحكم، فتفقدت المكان وبحثت عن كاميرات حولنا، فلم أجد، فوضعت جهاز التفجير المؤقت على جدران الغرفة وذهبنا للحاكم بسرعة حتى لا يشكون فينا ،فقد ضبطنا الجهاز على نصف ساعة حتى ينفجر، فلما ذهبنا للحاكم وجلسنا معه نتحدث عن المكان وما به من تكنولوجيا وحداثة في الأجهزة المختلفة والآلة العسكرية المتطورة، فأخذ يحدثنا كيف وصلوا إلى ذلك وكيف هم يعملون ومعنا جهاز التنصت الناقل للكلام للملك فكل ما تم بيننا من حديث نقل للملك ،وبعد دقائق انفجر الجهاز فأسرعنا نحو الانفجار وأسرع كل من في المستعمرة ،فانشغل كل من معنا في "أتلانتس" فانتهزنا تلك الفرصة ودخلنا الغرفة وزرعنا فيها تلك الأجهزة للتنصت والتصوير وبحثنا عن الوثيقة، وهي عبارة عن ملفات على الحاسوب ولكن الحاسوب عليه كلمة مرور ومشفرة كل المعلومات التي عليه، فوجدنا صعوبة في الحصول على ذلك، ولكن القائد التابع للملك تحدث إلي عبر الجهاز المزروع في كتفي وقال لي:

هيا اخرجا بسرعة فالحرس في طريقه إليكم، ويكفي أنكم زرعتم تلك الأجهزة، فسنصل إلى كل المعلومات عن طريق تلك الأجهزة، فخرجنا

مسرعين إلى الخارج، ولكننا فوجئنا بالجنود يعتقلوننا ويكبلوننا ،ولكنهم لن يعثروا على أي شيء معنا لأننا وضعنا كل ما معنا في الأماكن المطلوبة منا ،فبعدما قيدونا وساروا بنا إلى السجن، وما أدراك ما سجنهم؟

إنه أقذر سجن في الدنيا ،فهذا السجن به من العفن والنتن ما يكفي لأن تعترف بما لم تفعله ،فبعد ساعة قادونا إلى التحقيق معنا، فأوقفونا أمام ضابط لهم، فسألنا:

مع من تعملون؟

فقلنا له:

لا نعمل مع أحد ،فقال لنا في غضب:

ومن المسؤول عن هذا التفجير؟ أليس أنتم من قمتم بذلك؟

فأنكرنا أي شيء لأنهم لا يملكون أي دليل على أي شيء ضدنا، ولكنهم لم يصدقوننا، فقاموا بتعذيبنا ،ولكننا صمدنا وصبرنا من أجل النعيم الذي ينتظرنا هناك ،فما زالوا يعذبوننا ونحن لا نستسلم، ولكننا قبل ذلك قد أبلغنا الملك بما حدث وقالوا لنا:

سوف نخلصكما، فاصمدا، ثم ألقينا ما معنا من أجهزة تعقب وتحدث ،ولم يبقى إلا الجهاز الذي زرع في أيدينا ،فهذا لن يعرفوه، فهو من خلاله يسمعنا أتباع الملك ويعرفون مكاننا، وبعد ثلاثة أيام من التعذيب وبعدما كدنا نموت من الضرب والإيذاء الجسدي والتجويع وما في السجن من قذارة وعفن، سمعنا صوت انفجار كاد أن يصم آذاننا ،وبعد دقيقة فتح السجن فوجدنا ثلاثة رجال عمالقة من رجال الملك ومعهم أسلحة قوية وقد قتلوا العديد من الرماديين ،وبسرعة أخذونا إلى مركبة فضائية قوية وسريعة ومقاتلة وقادوها كأنها أحد الصواريخ، وقبل الصعود للبوابات قاموا بإطلاق صاروخ فجر الباب وقتل كل من في الخارج عند البوابات، وخرجنا في أقل من دقيقة وتركنا باقي مقاتلي الملك يتقاتلون مع الرماديين وقد وصلوا لما رصدناه لهم من معلومات وأماكن حيوية ،فقاموا بتدمير بنيتهم التحتية وإلحاق الضرر بكل منشئاتهم الحيوية وبمقرات دفاعاتهم، ولم تخمد الحرب بينهم ،فما زال أتباع الملك يتابعون زحفهم نحو تلك المستعمرة للرماديين ولكننا صعدنا للعالم العلوي عند الملك وعند العمالقة، فأدخلونا مشفى لم نرى مثلها من قبل ،فبها عشرات الأطباء وعشرات الأجهزة الحديثة والغرف المجهزة، فقاموا بتنظيفنا وعمل الإسعافات اللازمة لنا وعلاجنا بأجهزة حديثة تجعل الجروح تلتئم في

أسرع وقت ،فرجعنا كأننا لم نصب بأي أذىً من قبل في أقل من ساعة، ثم ألبسونا أحسن الثياب وطيبونا بأفضل العطور ثم قادونا للملك ولقائده الذي وجهنا إلى هناك ،فلما ذهبنا إليه قام وصافحنا هو وقائده ورحبا بنا ثم قدموا لنا بعض الطعام والشراب والفاكهة ،ولما شبعنا قال لنا الملك:

مرحباً بالأبطال، لقد قمتم بعمل جيد ورائع ،فأنتما قد بلغتما عندي أفضل المنازل ،فقلت له:

عفواً يا سيدي، فإنا لم نفعل أي شيء ،فأنتم من وجهتمونا وساعدتمونا وأنقذتمونا من أيديهم ،فقال الملك:

لا؛ لقد قمتم بعمل رائع لنا ،فقد انتصرنا عليهم وأخذنا أرضهم ،ولن تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فسنعمر أرضهم ونجعلها جنة مثل أرضنا ومدينتنا هذه ،والآن هيا اذهبوا إلى غرفكم وستجدون معنا السكن والزوجة والعمل الذي يناسبكما معنا هنا، فشكرنا الملك على صنيعه معنا وذهبنا للغرف مع القائد، وبينما نسير حيث يسير وقعت في حفرة عميقة وما زلت أنزل في الحفرة حتى وقعت بالأسفل ونظرت لنفسي وهي ملقاة ولم أبصر أي شيء إلا وأنا قد

قمت من نومي في فزع، فاستيقظت على صوت " شليدر" ينادي عليَّ وهو يصيح:

هيا يا قبطان ،فالشروق قد أتى، فهيا نذهب لما عزمنا عليه ،فنظرت له من الشرفة وقلت له:

انتظرني فأنا سأنزل إليك، فهيا أدر المحرك وجهز السفينة لنتحرك.

استيقظت زوجتي وشاهدت جلوسي وأنا أدخن السيجارة في حزن وألم ،فقالت:

ماذا بك؟

ما لي أراك بوجه غير الذي بت به؟

فقصصت عليها ما كان في منامي، فقالت لي:

وبعد ذلك تريد الذهاب إلى هناك؟

فقلت لها:

سأذهب، فما رأيته يجعلني أصر على رحلتي هذه، فقالت لي:

أراك تشتاق لتلك الفتاة الجميلة التي رأيتها في منامك، فقلت لها:

وهل هناك أفضل منك يا حبيبتي؟

فابتسمت ثم قبلتها وودعتها هي وأولادي ثم نزلت للسفينة ولصديقي ،وقبل أن نرحل قصصت على صديقي ومساعدي " شليدر" ما رأيت، فضحك وقال:

نتمنى أن يحدث معنا هذا، فما شاهدته قطعة من الخيال، فلم أرد عليه وانطلقنا بالسفينة ونحن نشير لأولادنا ونودعهم ،فخضنا في البحر نشق موجه، فالرياح مستقرة ولكن موج البحر له الأحوال الكثيرة، ولكننا اخترنا الوقت المناسب لرحلتنا هذه.

فسرنا في عرض البحر والشمس ساطعة واليوم لا رطوبة فيه ولا ما ينغص علينا رحلتنا، فمضينا في الإبحار ونفسي تحدثني بما رأيته في منامي فتقول لي:

هل سنجد ما وجدت في منامي؟

أم سوف أرى أصعب من ذلك؟

لا لن أتعجل ،فكلها ساعات ونرى كل شيء ،فمضت الساعات ونحن نبحر ومرة نأكل وأخرى نشرب حتى قطعنا الكثير من سفرنا ،ولم يبقى لنا إلا عدة

أميال ونقترب من القطب الشمالي، ولكن الطقس تغير مع دخول الليل وبدأت الأمواج تتلاطم بقوة والرياح تزداد حتى قلت "لصديقي " شليدر" :

هيا اجمع حقيبة الطعام والشراب بجوارنا وهيا ارتدي ملابس السباحة ،فقلت لنفسي:

لابد أن أفعل ذلك حتى لا نتعرض لمثل ما تعرضنا له في المنام وبالفعل ما رأيته في منامي اقترب على الحدوث، فالرياح ازدادت وبدأت السفينة تتمايل ولم نتحكم في قيادتها ومن ثم امتلأت بالمياه حتى أوشكت على الغرق، فقد توقف المحرك وكنا سنغرق مع السفينة ،فقلت لصديقي " شليدر" :

هيا اجلب حقيبة الطعام والشراب وهيا نقفز ،فقفزنا ثم سبحنا للشاطئ وإذا نحن في مكان لا شجر فيه ولا ظل لشيء، فقلت "لصديقي " شليدر" :

لقد تحققت بعض أجزاء الرؤيا ولكنها اختلفت شيئاً ما ،فلقد فقدنا كل أجهزتنا بما فيها هاتفنا المحمول، ولم أجد الأشجار كما وجدت في منامي، فقال لي "صديقي " شليدر" :

وماذا نصنع الآن أيها القبطان؟

فقلت له:

هيا بنا نبحث عن مخرج أو نبحث عما أتينا إليه ،فحملنا متاعنا وسرنا في هذا الخلاء الذي لا زرع فيه ولا ماء ،وبعد ساعة من السير تعبنا فاسترحنا وتناولنا بعض الطعام والشراب ثم أكملنا مسيرنا فنظرنا لآخر نظرنا فلم نرى سوى الرمال والصخور والشمس المحرقة، فسألني "صديقي " شليدر" وقال لي:

أين نحن أيها القبطان؟

فقلت له:

نحن بالقرب من الرماديين، ولكن أين هم؟

فقال لي:

وكيف نصل لأي شيء ونحن لا نمتلك أي وسيلة لتعرفنا الاتجاهات أو خريطة المكان ،فقلت له:

لقد قال لي صديقي " جونز" :

عندما تقترب من " الرماديين " ستغرق سفينتكم وستذهبون لصحراء قاحلة وستسيرون فيها ليوم ونصف وبعدها ستجد حفرة كبيرة بها ما تبحث عنه، فهو قد ذهب لهذا المكان منذ سنوات وقص لي ما رأى هناك وقد قال لي:

لا طريق لهم سوى ما فعلناه، فقال لي "صديقي " شليدر":

هيا اذاً نكمل مسيرنا حتى لا ينفد منا طعامنا وشرابنا ،ولكني لا أحمل هم شيء أكثر من كيف سنعود لديارنا بعد ذلك ،فقلت له وأنا أقنع نفسي بما أقول:

سنجد وسيلة كما قال لي صديقي "جونز" فقد قال لي:

ستقابل هؤلاء الكائنات وبعد ذلك سينقلونكم بوسيلة سهلة لأقرب مدينة أرضية لنا.

فسرنا لأكثر من يوم ونصف ولم نجد سوى الرمال والشمس والوديان والسهول والوهدات والفيافي البعيدة، وبعد ساعات من السير وجدنا بقعة خضراء عن بعد وبها حركة غريبة، وقبل أن نقترب بأقل من ميل إذا بمركبة تشبه الطبق الطائر تقترب منا ،ثم هبطت ونزل منها هذا الكائن الذي كنت أتخيل شكله ،فأشهر في وجوهنا ثمة سلاح غريب ثم أخرج منه بعض الإشعاع الأخضر فلم نحس بشيء إلا ونحن في مكان يشبه سجن "أبو غريب" ،ووجدنا أنفسنا وقد كبلونا من أيدينا وأرجلنا ومعنا بعض البشر

مثلنا، فلما أفقنا ورأينا هذا المنظر المقلق سألنا الحضور ومن بينهم صديقي "جونز" :

من أنتم؟ ومن متى وأنتم هنا؟

فقالوا لنا وكان عددهم لا يتعدى الثمانية:

نحن هنا منذ سنوات ،ولم نجد من يخرجنا من هنا ،فقلت لهم:

وكيف جئتم إلى هنا؟

فقالوا:

مثلما جئتم أنتم ،فلقد كنا في شغف لرؤية تلك الكائنات القذرة، وها نحن قد أتينا، وليتنا ما أتينا إلى هنا ،وبينما نحن نتحدث دخل أحدهم بطعام وشراب لكل واحد منا، فحرروا قيدونا وطعمنا وشربنا ثم بعد ساعة جاء ثلاثة منهم وكبلونا ثم قادونا إلى غرفة كبيرة بها أجهزة حديثة وبها بعض الرجال منهم ،وهؤلاء كما تخيلتهم من قبل ،فهم كبار العيون ونحيفي الجسد ولا يشبهون البشر في أي شيء سوى في وجود أقدام وأيد مثلنا، فلما وقفنا أمامهم وقد ندمنا على قدومنا إلى هنا سألونا:

من أين أنتم؟

فقلنا لهم عن كل شيء، فلم يصدقوننا، ثم ألقونا في السجن وقاموا بتعذيبنا ولكنهم لم يأخذوا ما يريدون من إجابة ،وبعد تعذيب وسجن ومرارة البعد عن الموطن والأهل لمدة شهر قد طال علينا، فوجدنا من معنا من سجناء بعدما اطمأنوا لنا رأيناهم يحفرون ثمة نفق في السجن، فهم يحفرون بالليل ثم يخفون أثر حفرهم بالنهار، فقمنا بمساعدتهم حتى انتهينا بعد ستة أشهر من الحفر والعذاب والبعد والمشقة للوصول إلى نفق يصل بنا لمدينة بشرية، فنزلنا في ظلام الليل بجهاز صغير يضيء قد أخذناه من السجن وأسرعنا كلنا في النفق والخوف يقتلنا من أن يلحقوا بنا.

[الفصل الخامس]

وبعد دقائق خرجنا بالقرب من بحر وبه سفينة عملاقة قد رست على مرفأ لها فأسرعنا نحوها وقال أحد من معنا من يقود السفينة؟

فقال "صديقي " شليدر" :

نحن فإنا نعمل في ذلك ،فصعدنا على ظهر السفينة وقدت السفينة بسرعة حتى لا يلحقون بنا، وقبل أن نغادر وضعنا غطاء كبير على فوهة النفق حتى لا يلحقون بنا، ولكننا بعدما مضينا نشق البحر وإذا بشرطة هذا المكان تطاردنا ثم أحاطوا بنا وأرغمونا على تسليم أنفسنا لهم ،ثم كبلونا وأخذونا في مقرهم وكانوا من "الدنمارك" ،فلما ذهبنا عندهم سألونا:

لماذا سرقتم السفينة وفعلتم ما فعلتم؟

قلنا لهم ما حدث، فتعجبوا مما نقول ،وقالوا:

لو كان حقاُ ما تقولون فتعالوا معاً ودلونا على النفق ولا عليكم بعد ذلك ،فذهبنا معهم، فلما رأوا النفق تحدث الضابط مع قائده ومن ثم تحدث القائد مع جهات عليا ،وبعد ساعة أتت المركبات الكثيرة والمعدات الثقيلة وامتلئ المكان بمئات الناس من جيش وشرطة وعمال وبدأوا الحفر ونحن قد

أجلسونا في مكان به ما نشاء من طعام وشراب ومكان نغتسل به، وأتوا لنا بملابس وهواتف نقالة لنتحدث إلى أهلنا وقد أخبروا سفراءنا بوجودنا فأتوا إلينا واستخرجوا لنا ما فقدنا من مستندات ووثائق تثبت هويتنا ،وبعد ساعات من الحفر وجدوا بالفعل ما وصفنا من عالم آخر، ولكنهم فوجئوا بهجوم من قبل تلك الكائنات الرمادية ،فقتلوا من نزلوا عندهم ،أما نحن فقد صعدنا طائرات" هليكوبتر" وففرنا بها، ونظرنا من أعلى فإذا كل المعدات و المركبات قد دمرت ،ورأينا الآلاف من الرماديين قد خرجوا خلفنا ،ولكننا نزلنا بمكان تابع للجيش الدنماركي ،وتصدى الدفاع الجوي لهجمات الرماديين، ولكنهم لم يتوقفوا فقد زحفوا على البشر بآلياتهم وسلاحهم الفريد فدمروا كل ما قابلهم ،وقد استهدفوا مواقع حيوية وعسكرية وطائرات ومركبات.

فنفر العالم كله استعداداً لهؤلاء ،فقد تكاتف كل البشر للرماديين بكل قوة حتى لا يسيطرون على الأرض ولكن قوتهم كانت أشد من قوة البشر ،فقد نزلنا لأماكن تحت الأرض كمخابئ حرب وأمامنا الشاشات بها ما يحدث على سطح الأرض، فنراقب ما يحدث كأننا فيه ،فلقد بات العالم الإنساني بقعة من خراب واحتلت تلك الكائنات أغلب الأرض، فما وقفت أمامهم أي دولة إلا

دمروها وأبادوها ولا سيما وأنهم يتحركون بسرعة فائقة تفوق البرق ،وقد دمروا كل الاتصالات والكهرباء وكل التطور العلمي و التكنولوجي للبشر ،فلم نعد نعلم عما فوق الأرض من شيء ولم تعمل الهواتف النقالة ولا أي شيء ،حتى باتت الأرض بلا وسائل نقل أو مصانع ولا أي شيء مما وصلنا إليه من علوم وطاقة وعلم ،فقد أطلقنا على بعضنا أسلحة الدمار الشامل حتى هلك أغلب البشر، فخرجنا بعد شهر من الحرب وقد نفد طعامنا وكل ما ادخروه من دواء ومأكل ومشرب حتى نفد ذلك كله ،فلما خرجنا وجدنا الأرض خربة من كل شيء ،وكأنها لم تغن بالأمس، فسألنا بعضنا:

أين نذهب؟ وكيف نسير؟

وإذا بصوت "صديقي " شليدر" يوقظني من نعاسي وهو يقول:

لقد أخذتك سنة من النوم يا قبطان ،هيا استيقظ ،فقد وصلنا لحدود دولة" الدنمارك" ،فنظرت إليه وقلت له:

لا؛ سوف نعود أدراجنا يا صديقي ،فتعجب وقال:

وكيف هذا؟

فقصصت عليه ما رأيت، فقال لي:

كما تشاء يا صديقي" ريتشارد" ،فعدنا ولم نكمل رحلتنا وعدت لأولادي وزوجتي كما ذهبت ولم أتعرض لشيء لا أعرفه.

النهاية

الناشر:

دار تُراث للنشر الإلكتروني

رقم الهاتف:

01155108301

01099607320

فيسبوك:

https://www.facebook.com/دار-تُراث-للنشر-الإلكتروني/١٦٧٠٠٩٤٧٨٩٩٧١٤٦٦

رئيس مجلس الإدارة:

عبد الرحمن محمد

مدير عام:

المهندسة أميرة محمود فتحي